فن الملاغزة في كتاب "رحلة المقري إلى المغرب والمشرق".

The art of riddles in the book “The Journey of Al-Maqri to Maghreb and the Orient”.

*مختارية بن عابد

جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، (الجزائر)، mokhtaria.benabed@univ-mosta.dz

تاريخ الاستلام: 2021/07/01 تاريخ القبول: 2022/04/17 تاريخ النشر: 2022/09/28

ملخص:

الألغاز هي بمثابة مساجلة أدبية بين قائلها ومتلقّيها، عمادها اللقانة والذكاء والفطنة، وقد ازدهر هذا الفن من القول في المجتمع العربي في مختلف الأمكنة، عاكسا ثقافته وأساليب التعبير السائدة، حيث خاض فيه العقل العربي على مدى العهود والأزمنة، كعقل العلامة الجليل "أحمد المقرّي التلمساني" –رحمه الله– الذي تناثرت في ثنايا كتابه الموسوعيّ "رحلة المقرّي إلى المغرب والمشرق" مجموعة من الألغاز نثرا ونظما. فجاءت هذه الدراسة هادفة إلى رصد تلك الألغاز في هذا الكتاب، مع تحديد فن الملاغزة وما تعلّق به من شروط وأهمية وأنواع، لنصل إلى حقيقة أنه فن ممتع يُذهب الملَل، يُعمِل ويشحذ العقل، ويجعل الأفكار تسرح وتجول، كما أن ما ورد في كتاب الرحلة من هذا الفن كان أغلبه في الشعر.

كلمات مفتاحية: فن الملاغزة، الألغاز، الشعر، النثر، المقرّي، كتاب الرحلة.

Abstract:

The riddles are a literary competition between the saying and the recipient, based on intelligence and acumen, and this art flourished from saying in Arab society in various places, reflecting its culture and prevailing expression methods, where The Arabs waded in it over the ages and times, Like Ahmed Al-Maqri Tlemceni, who found in his book "The Journey of Al-Maqri to Maghreb and the Orient", a collection of riddles in prose and poetry. This study aimed at monitoring these riddles in this book, With the definition of the art of the riddles well and the conditions, importance and types attached to it, to get to the fact that it is a beautiful fun art, and what is mentioned in the book of the journey is mostly in poetry.

Keywords: The art of the riddles, riddles, poetry, prose, Al-Maqri, the book of the journey.

المؤلف المرسل: مختارية بن عابد، **الإيميل**: mokhtaria.benabed@univ-mosta.dz

1. مقدمة:

ارتبطت الألغاز بالإنسان منذ حياته الأولى التي تخللتها التقلبات والاضطرابات والتحديات والغموض، وكان مضطرا إلى مواجهة كل ذلك حسب ما تكشفه لنا الحكايات والنوادر، على أننا نجد خصوصية لهذا النمط من القول في المجتمعات العربية، حيث ازدهر فيها على مرّ الأزمان والعصور، عاكسا ثقافتها واهتماماتها وما بها من طرائق الكلام والتعبير، والواقع أن الألغاز وما يجري مجراها لا تعدو أن تكون ضربا من التعبير عماده اللقانة والفهم وحسن التأتّي والفطنة من القائل ومن المستمع جميعا، وتلك نفحات ذهنية كان للعقل العربي فيها منذ نشأته نصيب أوفر.

ونحن هنا نخص برصد الألغاز جانبا أدبيّا معيّنا وهو الأدب الرحلي[1]، وذلك في أحد أهم الكتب في هذا المجال وهو كتاب "رحلة المقري إلى المغرب والمشرق" لأحمد المقرّي التلمساني الذي يعدّ أحد أعلام القرن السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، حيث تناثرت في ثناياه العديد من الأغراض والموضوعات الأدبية شعرا ونثرا كالمدح والوصف والشوق...، لنقتصر في هذه الدراسة على غرض أو فن الملاغزة.

وانطلاقا من ذلك يمكن طرح الإشكالية المتمثلة في: ما المقصود بفن الملاغزة أو الإلغاز؟ وما هي تجليّاته في كتاب الرحلة للمقرّي؟، حيث نهدف من خلال الإجابة عن هذه التساؤلات إلى تسليط الضوء على فن جميل عند عالم فذّ جليل من خلال كتابه الذي من فيض العلم يسيل، وأحسب أن الدراسات حول هذا الفن جدّ قليلة، وفي هذا الكتاب بالذات هي غير موجودة كدراسة مستقلة.

وقد تطلبت طبيعة الموضوع تقيسمه إلى ثلاثة أقسام رئيسية تتضمن عناصر فرعية فضلا عن مقدمة وخاتمة، وهذه الأقسام هي:

أولا: التعريف بالمقرّي وكتابه وأسباب قيامه برحلته.

ثانيا: فن الملاغزة أو الإلغاز.

ثالثا: الملاغزة في كتاب الرحلة للمقرّي.

2. التعريف بالمقرّي وكتابه وأسباب قيامه برحلته:

1.2 التعريف بالمقرّي:

يذكر محقق الكتاب في مقدّمته[2] بأن المؤلِّف هو "شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد يحي بن عبد الرحمن بن أبي العيش بن محمد المقري التلمساني" المولود سنة 986هـ/1578م، وقد عرّف المؤلِّف نفسه بأنه "أحمد بن محمد بن أحمد الشهير بالمقرّي، المغربي المالكي الأشعري، التلمساني المولد والمنشأ والقراءة"[3]. فهو من أعلام القرن 16م، ذاع صيته وفضله العلمي بالمغرب والمشرق العربيين إبان حكم العثمانيين الأتراك، يُشهد له بالإمامة والدراية والرواية والإتقان، والعلم في الحديث وعلوم القرآن والفقه وأصوله، وفي علوم العربية. وهو ابن عائلة وابن مدينة؛ فهو ابن عائلة المقري ذات التاريخ العريق التي تعود أصولها إلى القبيلة العربية الشهيرة (قريش)، ومن قرية (مقرة) الواقعة في الزاب بين بريكة والمسيلة، والتي انتسبت إليها الأسرة، ثم انتقل الجد الخامس للعائلة وهو "عبد الرحمن المقري" في القرن 6هـ صحبة شيخه "أبي مدين الغوث" إلى مدينة تلمسان حيث استقر بها وأنجب الذرية، فربح أولاده الأموال، ونمت ثروتهم، ونالوا دنيا عريضة لقيامهم على التجارة بين تلمسان وبين الصحراء والسودان، وتمهيدهم الطرق بحفر الآبار وتأمين التجارة كما اكتسبوا جاها رفيعة، وتأصلت فيهم جذور الثقافة والعلم؛ فهو إذن ابن مدينة تلمسان (الجزائر)، حيث ولد ونشأ وقرأ وتعلم.

وفي الثالثة والعشرين من عمره غادر تلمسان وظل متنقلاً بين فاس ومراكش، وبين مصر والحجاز والشام، في طاعة الله وعبادته وتدريس العلم والتأليف ووضع المصنفات المختلفة حتى وافته المنية رحمه الله بالقاهرة في جمادى الثانية سنة 1041هـ/ 1632م، ويقال أن أخباره قد انقطعت ابتداء من أواخر ربيع الأول سنة 1041هـ. وقد ترك "المقري" وراءه ثروة هائلة من المؤلفات في فنون الأدب والتاريخ والفقه والعقائد، وعددها يقارب الأربعين منها: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، روضة الآس العاطرة الأنفاس، أزهار الرياض في أخبار عياض، فتح المتعال في وصف النعال، وكتاب الرحلة هذا...، في حين بقيت أغلب مؤلفاته في حكم المخطوط والمفقود.

2.2 كتاب "رحلة المقري إلى المغرب والمشرق":

يشير المحقق إلى أنه من المؤلفات الأخيرة التي وضعها "المقري"، حيث يحتوي على معلومات هامة تتعلق « بحياة "المقرّي" الشخصية في تلمسان والمغرب الأقصى ومصر والشام والحجاز، ويعالج الحياة الثقافية والأدبية في عصر المؤلف، وهو يتضمن في الوقت نفسه معلومات تاريخية عن بلاد المغرب وأرض الحجاز واليمن، وبعض القضايا الفقهية والعقدية وغير ذلك »[4]، حيث تضمّن العديد من المخاطبات والمكاتبات والمساجلات والمراسلات، والإجازات النظمية والنثرية التي أجاز بها المؤلف طلبته وعلماء عصره، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من القصائد والمقطوعات من نظم المؤلف وبعض أدباء عصره، كما أن الرحلة « لم تكن مجرد مشاهدات سياحية كما هو الشأن في أدب الرحلات...، فالمقري لم يعن كثيراً بوصف ما شاهده من مظاهر العمران في المدن التي زارها في المشرق أو المغرب..، وإنما التفت المقري إلى أعمق من ذلك، إلى مظاهر الحياة العلمية، فوصفها وصفاً ينم عن خبرة وثقافة عاليين لم نلمسهما عند من سبقه من الرحالين »[5].

ولعل جديد ما تضمنه كتاب الرحلة هذا يكمن في خصوصية المعلومات المتصلة بحياة المؤلف الشخصية، وهي تتمثل في جانبين أحدهما يتعلق بزوجاته والآخر متعلّق بأولاده[6]، حيث ورد في الكتاب ما يخالف ما قيل حول هذين الجانبين ويوضّحه، ويمكن العودة إلى الكتاب في هذا الشأن؛ لأن المقام ههنا يضيق بنا للتفصيل في ذلك.

3.2 أسباب رحلة "المقرّي" إلى المغرب والمشرق:

يذكر المحقق أسباب قيام "المقري" بهذه الرحلة أنه قد اضطربت حولها الأقوال واختلفت الآراء، وإن كانت في مجملها تتفق على أنها سياسية، والمرجّح ما ورد في الرحلة من أن المؤلف هو الذي استأذن ملك المغرب صاحب فاس وهو "الغالب بالله عبد الله بن المأمون" في السماح له بالرحيل، وقد أذن له في ذلك، وكتب في شأنه رسالة من إنشاء محمد بن أحمد الفاسي إلى سلطان الحجاز شريف مكة يخبره عن قدوم المؤلف إليه ويبلغه عن علمه وفضله ومكانته ويوصيه به خيرا[7].

كما يشير المحقق إلى مسألة هامة تتعلق بنزول "المقرّي" مدينة الجزائر وتونس وسوسة، واتصاله بعلماء هذه المدن وهو في طريق الرحلة من المغرب صوب المشرق؛ فيقول: « وباستثناء إشارة المقري في منظومته فتح المتعال إلى أنه نزل بهذه المدن دون إخبارنا عن أي نشاط له فيها، فإن بقية المصادر لم تشر إلى ذلك قط، ولكن نصوص الرحلة تؤكد لنا نزوله بهذه المدن واتصاله بعلمائها وتواريخ ذلك »[8]، إذ يخبرنا "المقري" بنفسه في رحلته أنه حينما نزل بالجزائر العاصمة يوم الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة 1027هـ، خرج إلى رأس تافورة صحبة جماعة من الأعيان منهم مفتي الحنفية الخطيب "محمود بن حسين بن قرمان"، والشاعر الأديب "محمد بن راس العين" الذي تبادل معه نظم الشعر بمناسبة هذا الاجتماع، كما التقى بعالم الجزائر وفقيهها الشيخ "سعيد قدورة" (ت 1066هـ)، الذي كان قد رافقه في الأخذ عن عمه "سعيد المقرّي"، وأثناء هذا اللقاء لاغز "سعيد قدورة" المؤلف في لفظي (القوس) و(الصِّنَّبْر)[9] ، وهو ما سيأتي الحديث عنه في موضعه.

3. فن الملاغزة أو الإلغاز:

1.3 مفهوم الملاغزة:

1.1.3 لغة: مصطلح الملاغزة مشتق من مادة (ل غ ز) التي جاء عنها في "لسان العرب": « أَلْغَزَ الكلام وَأَلْغَزَ فِيهِ: عَمَّى مُرَادَهُ وَأَضْمَرَهُ عَلَى خِلاف مَا أَظْهَرَهُ...، وَاللُّغْزُ وَاللُّغَزُ وَاللَّغَزُ: مَا أُلْغِزَ مِنْ كلام فَشُبِّهَ مَعْنَاهُ »[10]. وفي "مقاييس اللغة": « لغز: اللام و الغين و الزاي أصل يدل على التواء في شيء وميل »[11]. و« لغز اليربوعُ أجحارَه لَغْزاً: حفرها ملتوية مُشكَلة على

سالكها. ولغز الشيء: مال به عن وجهه. يقال: لغز في كلامه...، لاغَزَه: كلَّمه مُلْغِزاً...(ج) ألغاز »[12]. و«لَاغَزَ مُلَاغَزَةً: (لَ غَ زَ) هُ: كلَّمَه باللَّغْز »[13].

فجميع المعاني المبسوطة في المعاجم حول هذه المادة تدور حول الغموض والإضمار والإشكال والميل والالتواء، ولذلك كان الكلام الملغَز أو اللغز به معنى خفيّ لا ينكشف من ظاهره.

2.1.3 اصطلاحا: لا يبتعد المفهوم الاصطلاحي للملاغزة أو الإلغاز عن المعاني اللغوية السابقة الذكر، بل هو مأخوذ عنها؛ إذ أن « الإلغاز: إضمار النّاظم أو الناثر كلمة يسأل السّامع عنها، ويشير إلى عدة صفات لها ومتعلقات بها. ويحترز في اللغز من الإتيان بالغامض المفرط في غموضه ومن الواضح البارز للعيان »[14]. وهو « أن يأتي المتكلم بعبارات يدل ظاهرها على غير ما أضمر وأشار إليه، ويدل باطنها بعد إمعان النظر عليه، وتسمى تلك العبارات لغزا. وقد يطلق اللغز على كل ما فيه إغراب يعسر بسببه على غير اللبيب الإفصاح عنه والإعراب »[15].

كما أنه: « علم يتعرف منه دلالة الألفاظ على المراد دلالة خفية في الغاية، لكن لا بحيث تنبو عنها الأذهان السليمة، بل تستحسنها وتنشرح إليها »[16].

وقد عرف "ابن حجة الحموي" الألغاز قائلا: « هذا النوع، يسمى المحاجاة والتعمية، وهي أعم أسمائه، وهو أن يأتي المتكلم بعدة ألفاظ مشتركة، من غير ذكر الموصوف، ويأتي بعبارات يدل ظاهرها على غيره، وباطنها عليه، وأبدع ما فيه أنه لم يسفر في أفق الحلي غير وجه التورية »[17].

ومنه نرى أن مختلف التعريفات المتعددة لفن الإلغاز أو الملاغزة تتفق على وجود دلالة خفية مضمرة في كلام يلقيه المتكلم نثرا أو شعرا يتم الوصول إليها بعد إمعان وتفكّر وإعمال الذهن؛ فاللغز إذن هو الكلام الذي به غموض وإغراب سببه ميل قائله بظاهره عن أصل معناه؛ فعَمَّى مُرادَه وَأَضمَرَه على خلاف ما أَظهَره، والظاهر أنه لا يخوض في هذا الفن إلا اللبيب السليم الذهن.

هذا ويطلق على اللغز عدة أسماء مرادفة له منها: المعمّى[18]، والمعاياة ربما من تطلّب الإعياء أو إثبات العيّ، والمترجم، والأغلوطة، والأحجية، والمحاجاة، والأُدعية، والأُلقية وهي ما يلقى بقصد الاختبار وطلب التعجيز[19].

2.3 شروط الملاغزة وأهميتها:

يبرز التعريف الاصطلاحي الأول أمرا يشترط في الملاغزة، وهو أن يحترز في قول اللغز من الإتيان بالغامض المفرط في غموضه ومن الواضح البارز للعيان؛ بمعنى أن يبتعد الملغز في لغزه عن الغموض المفرط الذي يجعل الحل يكاد مستحيلا واللغز منفّرا، وعن الوضوح الذي يجعل الحل مكشوفا معروفا فيبعد اللغز عن أصل معناه في أنه يضمر ما لا يظهر.

كما نجد "بن صالح طاهر الجزائري" يضع تنبيهات بها فوائد جليلة، تفيد القارئ فيما يُشترط في الإلغاز والتعمية، يقول فيها[20]:

– لا ينبغي للأديب أن يبالغ في التعمية والإلغاز، بحيث لا يصير للوصول إلى حقيقة الأمر مجاز، فان ذلك مما ينفر الطالب، ويفتر همم الراغب، كما لا ينبغي أن يبالغ في الإيضاح. ويصير حماه لكل من أراده مباح، حيث يتساوى في استخراجه الذكي والبليد، والأخفش ومن بصره حديد، فحب التناهي غلط، وخير الأمور الوسط.

– أن أرباب الفن كثيرا ما يستخرجون أسماء من شعر ساذج لم يقصد به ناظمه معمّى.

– لا ينبغي للأديب أن يكون عاريا من معرفة فن المعمى والإلغاز وما شاكلهما، فان ذلك مما يشحذ الأذهان، ويرشحها لمعرفة سحر البيان، ولم تزل العلماء الأعلام قديما وحديثا يتحاورون في ذلك، ويسلكون في عمله واستخراجه أحسن المسالك، كما أنه لا ينبغي له أن يُتولَّع به ويجعله قصارى همه، ونهاية علمه، ولا ينبغي أن يورد منها في المحاضرات ما لا يستخرج إلا بعد إجهاد الفكر، وأن لا يغض من قدر الأفاضل الذين لم يفتح عليهم في عملها واستخراجها.

– منع بعض الأدباء التعمية في التاريخ لمنافاته ما وضع له من تعيين الوقت لأمر مهم؛ فإن التعمية توجب سبق معرفة الوقت من جهة أخرى لتطبيقه على التاريخ المعمى، وأجازها كثير من الأدباء واستعملوها: والأوْلى عدم التعمية في التاريخ إلا اذا كان في ذلك نكتة بديعة وكان قريب المأخذ ولم يناف مقتضى الحال.

أما **أهمية الملاغزة** فيمكن استخلاصها مما سبق في أنها ترويض للعقول، وامتحان للأذهان وتقويمها وتشحيذهان وترشيحها لمعرفة سحر البيان، كما أنها اختبار القدرة على إيجاد الحل وكشف التلاعبات اللفظية والإيحاءات المعنوية، بل هي وسيلة من « وسائل الترفيه والتسلية والرياضة الأدبية، يتعاطاه الفقهاء والشعراء والأدباء على حد سواء، ويُعملون فيه الرأي والذكاء بنوع من التكلّف»[21].

3.3 أنواع الألغاز:

اللغز قسمان: معنوي ولفظي؛ فالمعنوي ما يشار فيه إلى الموصوف مجرد ذكر صفاته الذاتية كقول من ألغز في (القلم):

وَذِي خُضُوعٍ راكِعٍ ساجِدٍ ** وَدَمعُهُ مِنْ جَفْنِهِ جَارِي

مُلازِمُ الخَمْسِ لِأوْقاتِها ** مُنْقَطِعٌ فِي خِدْمةِ البارِي.

أراد بالركوع والسجود انحاءه ووضع رأسه على أرض القرطاس، وبالدمع المداد، وبالخمس الأصابع، وبالبارى من قطعه وقطه، ولا مانع من أن يسمى أيضا باللغز الساذج أو الوصفي.

واللفظى ما يشار فيه إلى الموصوف بذكر كلمات تتضمن اسمه أو بعض أحرفه تضمنا خفيا، ويشار لذلك إما بالتصحيف أو بالقلب أو بالحذف أو التبديل أو ما أشبه ذلك، ولا مانع من أن يسمى باللغز المصنع أو الاسمي، مثل من ألغز في قبيلة (عبس) معتمدا القلب قائلا:

مَا اسْمُ قَبِيلةٍ مَتَى ** قَلَبْتَه فَاسْمُ عَدَد

وإن تَضُمَّ ثَاني الْ ** قَلْبِ فَذَاكَ اسْمُ أَسَد[22].

4. الملاغزة في كتاب الرحلة للمقرّي:

تضمّن هذا الكتاب فنونا أدبية متنوعة شاعت في عصر مؤلِّفه، منها فن الملاغزة نظما ونثرا، ولا بأس أن نشير قبل عرض بعض النماذج مما حواه كتاب الرحلة من هذا الفن إلى ما ذكره المحقق بأن أسلوب "المقرّي" في كتابه هذا لا يختلف عن أسلوبه في بقية كتبه ومخطوطاته، فقد حاز قَصَب السَّبق في فنّيْ المنظوم والمنثور، وذلك بشهادة معاصريه، حيث نجد "أحمد المحبي" قد حلاه قائلا: «حافظ المغرب، جاحظ البيان، ومن لم يُر نظيره في جودة القريحة وصفاء الذهن وقوّة البديهة، وكان آية باهرة في علم الكلام والتفسير والحديث، ومُعجزا باهرا في الأدب والمحاضرات »[23]، وكذلك "شهاب الدين الخفاجي" الذي يقول عن شعره: « أما الشعر فهو أصمعيّ باديته، وسلْمان بيته، وحسّان فصاحته، فما مسّ قَصَب الأقلام إلا سجدت شكرا، إذ رأته

قِبلة الآمال، وأقسمت أنّ من البيان لسحرا، لكنه سحر الحلال »[24]، هذا وقد قسمنا الملاغزة بحسب شكلها الأدبي الذي وردت عليه في الكتاب إلى قسمين: الملاغزة نظما (شعرا) وهي الغالبة، والملاغزة نثرا.

1.4 الملاغزة نظما:

من أمثلة الألغاز التي وردت منظومة شعرية، ما لاغز به عالم الجزائر وفقيهها "سعيد قدورة" المؤلف في لفظ (الصِّنَّبْر)[25] بتسعة أبيات، وأجابه المؤلف بأحد عشر بيتاً في حلّ هذا اللغز، ومستهلّ ما قاله "سعيد قدورة":

بَدْرًا بَدَا منْ غَرْبِنَا بِجَزَائِرَ ** وَبَحْرًا عُبَابًا منْ نَّفِيسٍ ذَخَائِرِ

حاجِيكَ يَا فَخْرَ الزَّمَانِ بِلَفْظَةٍ ** أَتَتْ فِي مَقَامِ الرَّفْعِ دُونَ مَحَاذِرِ

فَابْدلْ بالخَفْضِ المغِيرِ وَصْفَهُ ** وَلا سَبَبَ يَبْدُو لِرُؤْيَةِ نَاظِرِ

فَلَيْسَ مُضَافًا أوْ بِحَرْفٍ يَجُرُّهُ ** وَلا تَابِعِ المخْفُوضِ أوْ بِمُجَاوِرِ

وَلَيْسَ لِلْحَكْمِ فِيهِ قَبْلَ جَرِّهِ فَرْدٌ ** فَأَنْتَ اليَوْمَ زينُ المحَاجِرِ[26].

وكانت إجابة "المقرّي" عليه في قوله:

حبًّا بِسُلُوكٍ مِنْ نَفْسِ الجَوَاهِرْ ** إِمَامٌ بَدَا مِنْ نَظْمِهْ كلَّ بَاهِرْ

يُؤْمِلُ تَجْدِيدَ الجَوَابِ لِأَنَّهُ ** تَقَدَّمَ قَوْلٌ فِيهِ لَيْسَ بِظَاهِرْ

فَقُلْنَا أَرَدْتَ الصنبر وهِيَ لَفْظَةٌ أَتَتْ ** بَعْدَ حِينٍ هَاجَ فِي شِعْرٍ مَاهِرْ[27].

وكذلك ما أجاب به "سيدي عبد السلام ابن الناصر الفاسي" على لغز "المقرّي" في لفظ (كتاب) الذي قال فيه[28]:

يا فَاضِلَ العَصْرَ الذِي عِلْمُهُ ** بِمُحْكَمِ التَّفصيل فَاقَ العُبَاب

فأجابه "الفاسي" عنه مخاطبا إيّاه:

يَا ثَاقِبَ الذِّهْن الّذِي حَفِظَهُ ** فِي العِلْمِ لا تَحْوِي مَدَاهُ العياب

إن الرُباعِي الّذِي كُنْتَ قَدْ ** أَلْغَزْتَ فِيهِ ظَاهِر مِنْ كِتَاب

وَلَسْت بِالتَّعْرِيفِ يَوْمًا لَهُ ** مُبِينًا خَوْفَ لحُوق العِتَاب

مهْمَا تَشَأْ فَوْزًا بِإِدْرَاكِه ** فَاسْمَعْ مَقَالِي إن فِيه الجَوَاب.

ومثله ما جاء في مخاطبات "أبي الحسن علي الشامي الفاسي" للمؤلف من ملاغزته له في لفظ (أمس) بما نصّه:

أَيا مَنْ بِهِ رَوْضُ المعانِي تَعَطَّرَا ** ويا خَيْرَ حبْرٍ خطَّ حَرْفًا وسَطر

أَبِنْ لِي ما اسْم ذُو حُروفٍ ثَلَاثَة ** وَفِي العَدِّ أَرِبِى عَنْ مِئَينِ وأَكْثَر

يَرَى منْ حُروفِ العَطْفِ إِنْ زَالَ ** ثُلُثُهُ وَإِنْ زَالَ ثُلُثَاه تَراهُ مَصْدَر

وَإِنْ تَعْكِسْ التَّحْرِيكَ مْنْ طَرَفَيْهِ قَلَّ ** إِذَا أَنْتَ زِدْتَ الهَمْزَ وَالمدَّ مَصْدَر

تَخَالُهُ فِعْلًا مَاضِيًا إِنْ عَكَسْتَهُ ** وَإِنْ تَعْكِسْ الثُّلُثَيْنِ فَاسْمًا محدر

وَمَا هُوَ فِعْلٌ أَوْ بِحَرْفَيْنِ يُرَى ** وَلَكِن لَهُ بِالحَرْف شِبْهُ تَقَرّر

تَعْرِفُهُ مِنْ غِيْرِ حَرْفٍ وَإِنْ ترم ** تَعْرِفْهُ بِالحَرْفِ يَوْمًا تَنَكّرا

وَإِنْ ضُمَّ مِنْهُ الصَدْرُ صَارَ مُضَارِعًا ** وَلِعِظَة أَمْرٍ وهو مَاضٍ بِلَا امْتَرَا

وَإنْ أنْتَ أَجْرَيْتَ العَوَامِلَ كُلَّهَا ** عَلَى لَفْظه لم تَلْفِه مُتَغَيّرا

ومهْمَا عَمِلْتَ الفِكْرَ في قَلْبِهِ سَمَا ** ومهْمَا أَزَلْتَ القَلْبَ مِنْهُ تَعَطَرا...

فقال "المقرّي": فأجبته بما لم يحضرني الآن منه إلا قولي:

دَرْها سُلاَفا فالنَّسِيمُ قَدْ انْبَرَى ** وَارِجٌ بالأَفَاقِ نَدا وعَنْبَرا

وكُرّر عَلى الأَسْمَاعِ طيبُ حَدِيثها ** وَشَمّ بَرقهَا الشَّامِي إذَا طَابَ مُخْبِرا

كَمَا رَاقَ لغْزٌ جَاءَ بِالأَمْسِ مَن ** رَضِي له فِي المعَالي مُحْتَد لنْ يعْبَرا[29].

ومثله أيضا ما لاغز به الفقيه الأعمش "المقرّي" في لفظ (رمضان)، حيث يقول "المقرّي" في ذلك: « وكتب إلي بتلمسان صاحبنا الفقيه "سيدي محمد الأعمش" ابن شيخنا الشهير "سيدي عبد الرحمن بن موسى"، رحم الله الجميع، ملغزا في رمضان سنة 1012 هـ:

أَرَى اسْمَ حُبي مَنْ مَضَى خَصْرُهُ ** مُتَمِّمًا هَيْهَاتَ قَدرا يُسْام

ومَنْ مَضَتْ فِي النَاسِ أَحْكَامُهُ ** وَمَنْ غَدَت من أَجله في زمَام

أَفرَحُ إنْ يَبْدو مُنِيرًا كَمَا ** يَكْلُمُ قَلْبِي إنْ تَولَّى وَهَام

قدْ حَارَتْ الأَفكَارُ في أَمْرِه ** وهَجْره مِثْل الوِصَال حَرَام

فَمَا اسْمُه يَا سَيِدَ أَصْبَحَتْ ** غُرَّتُهُ تُبْهِرُ بَدرَ التَّمَام.

وأجبتُه بما ثبت في غير هذا الموضع[30] »[31].

2.4 الملاغزة نثرا:

ورد في الألغاز المنثورة مثال واحد وهو ما جاء في قول "إبراهيم بن محمد الشافعي الأزهري" الشهير بالسحوري يكتب إلى "المقرّي" ملغزا في لفظ (التّيْه)[32]:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على نبينا محمد النبي الكريم...، أما بعد: أنّي رأيت شيئا عجيبا، ونوعا من اللفظ غريبا، يتنوع فيه التصريف، وتظهر معانيه بالتصحيف والتعريف، وتلك المعاني مستعملة، وتقاليبه في الغالب غير مهملة، يتيه في معناه أهل المعرفة، ويتوخون هاديا ذا معرفة، وهو أندم مكان ليس وزنه مفعل، والظاهر أنه مشترك لكنه عند الإطلاق على المكان أدل، يوجد لفظه في قلب تصحيف (الوصف من) طعام هني، وكذلك لم يته فيه ولم ينه عنه ذو مقام سنّي، يماثله معنى القصة إذا صُحّف وحُرّف عند الفقهاء وأهل الحديث، ويقايضه كذلك القطع وأنه ليس للتعريف، لكن فيه تأنيث، قول مفرد ذو النباهة ينظر لها إلى وجوه وفيه على اختلاف النظر فيها مقاصد تعروه. ويا لله العجب فج مسلوك، ونهج غير متروك، أستوطنه برهة من الزمان، سلالة من الأعيان، إذا رآه السالك ولّى مدبرا ولم يعقّب، وإن حل به لم يزل لوجه التخلص منه متفكر مترقب فيه التعريف، ويمتع القائم به من التصريف، وهو اسم مفرد أو فعل أمر إن لحقته ياء المخاطبة، وحينئذ تجتمع إشارتها والضمير للغائبة، وإن خاطبتها بمصحفة ربما فارقتك، وقد تراجع إن شئت ولو ما وافقتك، وإن سألت عن قلبها قالت: هيت لك. أو وزنها تقول: حين قلت لك، و إليه بزيادة با مصحفة، وربما مر به من قصد الحجاز من المغرب أبدا. وقال بعض الأثبات إنه مصحف من نيات أو ثبات، وماضيه وزنه قال، لكن جوفه يا. وهو في ذلك والاسم سواء موزونه ثقيل كفيل، ولا يكشف كرْب

الحال به إلا البر الكفيل، ومن غريب أمره أن رجله في فيه، وجوفه معتل، وذلك ظاهر فيه، وطلبه ينبى عن الإعجاب، وربما يجد نوعا من العتاب، وذو الثلثة فعله يتايه، ومن طلب اسمع الفاعل منه لم يزل تائه...

وقد أجابه "المقرّي" قائلا: بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله ن سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم...، وبعد: فقد سرحت الناظر في هذا الروض الناضر، وأتعبت الخاطر في استخراج هذا الخبء حتى شممت عرفه العاطر...، فيا له من لغز حشر المحاسن، وورد ماء البلاغة غير الآسن، حسن منحا وتصريف، وتنبيه وتعريف، فما شئت من نمارق الأدب مصفوفة، وزرابي بطلب الفهم محفوفة، وأنهار مطرده، وأطيار غرده، وكاعب تبرجت رافلة في شباب التيه زهوا، وسكنت من البراعة بهوا، أن تصحف اسمها نَبُه من له فهم، على مباعدة ساحتها خشية أن ترمية من لحظها بسهم، و إن محا أحد خاليه، عمل بالنية في جالية، وقلبه إن انحلت من وسطه حبة، هبت نسمات الهوى من تلقائه، وناهيك من هبة، وإن أعدت النظر فيه هبت أمره، وأنشدت زعم العواذل التي في عمره، وإن رامت بنات الأفكار الأبكار أن تتزيّن للخاطب، قال لها زوج الصواب وهو في غير حبل الوصل حاطب، أنت طالق البتة، فساها ما حل لها من البينونة بغتة، وهكذا من عاند من هو فوقه ألبسه الخجل طوقه، ولم يميز بين التحضيض والعرض، وكان كبني إسرائيل إذ تاهوا في الأرض، وأنّى تبارى تلك العقيلة أو تُجارى، وقد زكت أصلا ونجارا، فمن عرف ما أُعطيت من الجمال قال لها: تيهي، وإن سئل عمن عني أشار لها بقوله: تي هي، فأخذه من الدهش بهتٌ، واستحال بالإنعكاس حين قال تُهتُ، وتصحيف مثال المبالغة ثناه عن أن يؤسس على قواعد الإجادة ما بناه، فأمسك الحنان، وقال لست ممن يحسن هذا الافتتان، وفي الإشارة ما يغني عن الكلم. والله المسؤول أن يجعل جميعنا ممن أسلم فسلم، قال هذا وكتبه عجلا خجلا العبد الفقير المقري أحمد بن محمد المالكي أخذ الله تعالى بيده، تم والحمد لله.

ويوجد مثال عن الملاغزة في الكتاب جاء سؤال اللغز فيه شعرا والإجابة عنه نثرا، وهو ما لاغز به "سعيد قدورة" المؤلف في لفظ (القوس)، حيث يقول "المقرّي": « كتب إلي مفتي الجزائر وعالمها وإمامها وخطيبها الأخ في الله سيدي سعيد الشهير قدورة حفظه الله ملغزا في القوس:

يَا بَارِعًا أَرْبَى عَلى ذَوِي النُّهَى ** وَلامِعًا يَسْمُو عَلى نَجْمِ السُّهَى
لَفْظٌ تَرَاهُ فِي كِتَابِ اللهِ ** أَتَى مَثْنَى يَا أَخَا انْتِبَاه
ولمْ يُثْنِ فِيهِ واصْطَحِبْهُ ** فِي السَّفَرِ المِبْرُورِ تَسْتَطِبْهُ.
وَالأَصْلُ إِنْ قَلَبْتَهُ دَلَّ عَلَى ** مُحْتَفَلٍ لِلنُّبَلَا وَالرُّذَلَا
وإِنْ تُصْحفْ آخِرًا قدْ جرَّدا ** فأكلان اثنان منه تُجْتَدا
وَإِنْ تُصْحفْ أَوّلَ الحُرُوفِ ** فَاسْمٌ لِنَوْعِ آلَةٍ مَعْرُوف
تَمَّ إِذا قُلِبَ ذَا المصْحَفِ ** فَسَوْفَ يَأْتِي لَكَ مِنْه لُطْف
وَإِنْ تَزِدْ حَرْفًا عَلى ما قُلبا ** فاسْمٌ لمن سِوى المُلُوكِ أُعْربا.

فأجبته بما نَصُّه: ...، وبعد: يا صدر الكمال والورع فقد أتانا نظمك الذي عجز عن ألفاظه قاريها، فأسلم القوس إلى باريها، وكيف لا وقد رمى عنها... »[33].

5. خاتمة: أفضت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج، أهمها:

– الملاغزة من الفنون الأدبية التي خاض فيها العقل العربي بامتياز، ولا يمثّل الأدباء الرحالة الاستثناء؛ فقد برعوا فيه أمثال صاحب كتابنا الذي لم يخلو من الألغاز "أحمد المقرّي التلمساني".

– المقصود بفن الملاغزة أو الإلغاز إضمار الناظم أو الناثر في كلامه ما لا يكتشف من ظاهره، ولا يخوض فيه إلا اللبيب سليم الذهن، وله عدة شروط، كما فيه فوائد قيّمة لما فيه من ترويض للعقل وامتحان له، وكذا إمتاع للنفس وترفيه.

– تنوّع قول اللغز في كتاب الرحلة للمقرّي بين نظم ونثر، وإن كان الشكل الأول؛ أي اللغز الشعري هو الغالب فيه؛ إذ لم نجد إلا لغزا واحدا منثورا سؤالا وإجابة.

ونشيد في الأخير بقيمة وأهمية الكتاب محل دراستنا؛ فهو بمثابة الموسوعة الثقافية ذات الأسلوب المشوّق المتميّز، وما حواه من شعر ونثر أثرى وأغنى مباحث الأدب الرحلي بصفة خاصة والأدب العربي بصفة عامة، بل يعدّ هذا المؤلَّف وغيره من أهم دعائم الفكر العربي قديما وحديثا، ولذلك وجب الاهتمام بهذه المؤلّفات أكثر ودراستها دراسة واسعة تليق بسعة ما حوته.

6. المراجع

1. سيد حامد النساج، أدب الرحلات في حياتنا الثقافية، مجلة العربي، الكويت، العدد 338، يناير، 1987م.
2. مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، الطبعة 02، مكتبة لبنان، (بيروت، 1984م).
3. أحمد بن محمد المقري التلمساني، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تحقيق: محمد بن معمر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، (الجزائر، 1425هـ/ 2004م).
4. أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، الجزء 01، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، (لبنان، 1388هـ/1968م).
5. أنور محمود زناتي، دراسة تحليلية في مصادر التراث العربي، دار زهران للنشر والتوزيع، (عمان، 1432هـ/ 2011م.
6. أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور، لسان العرب، الجزء 05، دار صادر، (بيروت، د–ت).
7. علي بن إسماعيل أبو الحسن ابن سيده، المخصّص، دار الفكر، (بيروت، 1978م).
8. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الطبعة 04، تحقيق: عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، (بيروت، 1990م).
9. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، الطبعة 01، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، (بيروت، 1999م.
10. مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، الطبعة 04، مكتبة الشروق الدولية، (مصر، 1325هـ/2004م).
11. جبران مسعود، الرائد، الطبعة السابعة، دار العلم للملايين، (بيروت، 1992م).
12. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، الطبعة 02، دار العلم للملايين، (بيروت، 1984م).
13. بن صالح طاهر الجزائري، تسهيل المجاز في فن المعمى والإلغاز، مطبعة ولاية سورية، (دمشق، 1303هـ/ 1885م).
14. حاجي مصطفى بن عبد الله خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (دار الفكر، 1982م).
15. تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله بن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الإرب، شرح: عصام شعيتو، دار الهلال ودار البحار، (بيروت، 2004م).
16. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، (القاهرة، د–ت).
17. عبد الحي كمال، الأحاجي والألغاز الأدبية، الطبعة 02، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، (السعودية، 1401هـ).
18. السعيد بنفرحي، الموجز في الشعر المغربي الملغز، الطبعة 01، مطبعة فضالة، (المغرب، 1998م).
19. ينظر: بن صالح طاهر الجزائري، تسهيل المجاز في فن المعمى والإلغاز، مرجع سابق، ص 57.
20. محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، الجزء 01، المطبعة الوهبية، (مصر، 1284هـ).

7.قائمة الإحالات:

1. ينظر تعريفه مثلا عند: سيد حامد النساج، أدب الرحلات في حياتنا الثقافية، مجلة العربي، الكويت، العدد 338، يناير، 1987م، ص 133. ومجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، الطبعة 02، مكتبة لبنان، (بيروت، 1984م)، ص 17.
2. ينظر: أحمد بن محمد المقري التلمساني، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تحقيق: محمد بن معمر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، (الجزائر، 1425هـ/ 2004م)، ص 05-09.

3. ينظر: أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، الجزء 01، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، (لبنان، 1388هـ/1968م)، ص 13.

4. أحمد بن محمد المقري التلمساني، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، مصدر سابق، ص 09.

5. أنور محمود زناتي، دراسة تحليلية في مصادر التراث العربي، دار زهران للنشر والتوزيع، (عمان، 1432هـ/ 2011م)، ص 332-333.

6. أحمد بن محمد المقري التلمساني، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، مصدر سابق، ص 10.

7. ينظر: أحمد بن محمد المقري التلمساني، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، مصدر سابق، ص 51.

8. المصدر نفسه، ص 10.

9. ينظر: المصدر نفسه، ص 72-73.

10. أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور، لسان العرب، الجزء 05، دار صادر، (بيروت، د-ت)، مادة (لغز)، ص 405. ينظر: علي بن إسماعيل أبو الحسن ابن سيده، المخصّص، دار الفكر، (بيروت، 1978م)، ص 27/13. وإسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الطبعة 04، تحقيق: عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، (بيروت، 1990م)، ص 895/3.

11. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، الطبعة 01، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، (بيروت، 1999م)، ص 257/5.

12. مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، الطبعة 04، مكتبة الشروق الدولية، (مصر، 1325هـ/2004م)، ص 830.

13. جبران مسعود، الرائد، الطبعة السابعة، دار العلم للملايين، (بيروت، 1992م)، ص 681.

14. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، الطبعة 02، دار العلم للملايين، (بيروت، 1984م)، ص 34.

15. بن صالح طاهر الجزائري، تسهيل المجاز في فن المعمى والإلغاز، مطبعة ولاية سورية، (دمشق، 1303هـ/ 1885م)، ص 57.

16. حاجي مصطفى بن عبد الله خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (دار الفكر، 1982م)، ص 149/1.

17. تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله بن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الإرب، شرح: عصام شعيتو، دار الهلال ودار البحار، (بيروت، 2004م)، ص 342/2.

18. « اللُّغز مثل المعمى: إلا أنه يجيء على طريقة السؤال، كقول الحريري في الخمر: وما شيء إذا فسدا * تحول غَيُّه رشدا». علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، (القاهرة، د-ت)، ص 161.

19. ينظر: عبد الحي كمال، الأحاجي والألغاز الأدبية، الطبعة 02، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، (السعودية، 1401هـ)، ص 10-12. والسعيد بنفرحي، الموجز في الشعر المغربي الملغز، الطبعة 01، مطبعة فضالة، (المغرب، 1998م)، ص 11.

20. ينظر: بن صالح طاهر الجزائري، تسهيل المجاز في فن المعمى والإلغاز، مرجع سابق، ص 57.

21. أحمد بن محمد المقري التلمساني، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، مصدر سابق، ص 14، مقدمة المحقق.

22. ينظر: بن صالح طاهر الجزائري، تسهيل المجاز في فن المعمى والإلغاز، مرجع سابق ص 57. والسعيد بنفرحي، الموجز في الشعر المغربي الملغز، مرجع سابق، ص 27-29.

23. محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، الجزء 01، المطبعة الوهيبة، (مصر، 1284هـ)، ص 302.

24. أحمد بن محمد المقري التلمساني، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، مصدر سابق، ص 14-15. مقدمة المحقق.

25. الصِّنَّبْر: الرِّيحُ الباردَةُ في غيمٍ. مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مرجع سابق، ص 524.

26. المصدر نفسه، ص 75.

27. أحمد بن محمد المقري التلمساني، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، مصدر سابق، ص 75.

28. المصدر نفسه، ص 91.

29. أحمد بن محمد المقري التلمساني، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، مصدر سابق، ص 200-201.

30. حول عبارة (وأجبتُه بما ثبت في غير هذا الموضع) يذكر المحقق في الهامش أن جواب "المقرّي" على هذا اللغز يقع في الجزء المفقود من الكتاب؛ لأنه غير موجود في النص المحقَّق.

31. أحمد بن محمد المقري التلمساني، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، مصدر سابق، ص 212.

32. المصدر نفسه، ص 23-26.

33. أحمد بن محمد المقري التلمساني، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، مصدر سابق، ص 73.